

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(294) مِنْ شَدِّءٍ وَأَنْزَلَ إِيَّاهُ عَلَايَكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (1) وقد نقل المفسرون حول نزول الآيات وما بينهما من الآيات روايات رويها بطرق مختلفة نذكر ما ذكره ابن جرير الطبري عن ابن زيد قال: كان رجل سرق درعاً من حديد في زمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وطرحه على يهودي، فقال اليهودي: والله ما سرقها يا أبا القاسم، ولكن طرحت على وكان للرجل الذي سرق جيران يبرونونه ويطرحونه على اليهودي، ويقولون: يا رسول الله إن هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به، قال: حتى مال عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض القول فعاتبه الله عز وجل في ذلك فقال: (إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ وَإِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بِهِ ذَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ خَصِيمًا) (2) أقول: سواء أوضحت هذه الرواية أم لا، فمجموع ما ورد حول الآيات من أسباب النزول متفق على أن الآيات نزلت حول شكوى رفعت إلى النبي، وكان كل من المتخاصمين يسعى ليعري نفسه ويتهم الآخر، وكان في جانب واحد منهما رجل طليق اللسان يريد أن يخدع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض تسويلاته ويثير عواطفه على المتهم البريء حتى يقضي على خلاف الحق، وعند ذلك نزلت الآية ورفعت النقاب عن وجه الحقيقة فعرف المحق من المبطل. والدقة في فقرات الآية الثانية يوقفنا على سعة عصمة النبي من الخطأ وصيانتها من السهو، لأنّها مؤلفة من فقرات أربع، كل يشير إلى أمر خاص: 1. (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا _____ 1. النساء: 113. 2. تفسير الطبري: 4|172.